

على هامش النفر :

شـيلوك الجديد

أو

قضية فلسطين

مراجعة للمستاذ باكتبر

الأستاذ سيد قطب

—>>><<<—

هذه المراجعة من عمل الأستاذ « على أحمد باكتبر » صاحب مسرحيات : « مملكة السماء ، والفرعون الموعود ، وقصر الهودج » ؛ وقصص : « سلامة القس ، وإسلاماء » ... أصدرتها « لجنة النشر للجامعيين » في سلسلتها التي بلغت إلى اليوم أربعاً وثلاثين حلقة ، معظمها لأسماء شابة أبرزتها اللجنة ، وكشفت عن مواهبها ، وهيأت لها فرصتها للظهور ، والإنتاج المفيد ؛ ولعلها كانت وشيكة أن تطمر ، أو أن تنتظر طويلاً حتى تنال حقها الطيب في الميدان الأدبي . وذلك فضل للجنة ليس باليسير .

ومسرحية « شيلوك الجديد » عمل أدبي يجيء في إبانه ، يليق على « قضية فلسطين » في هذه الأيام ضوءاً منيراً كشافاً ، وليصورها على حقيقتها التاريخية والواقعية ، وليرسم الحل الناجع لها ، وهو الحل الذي اهتمت إليه جامعة الدول العربية بمد شهر من ظهور المسرحية . وحسب المؤلف - وهو فرد - أن يلتقي في تفكيره مع أبرز رجال الجامعة العربية في حل قضية فلسطين ! وهذه المسرحية - من الوجهة الفنية البحتة - ليست أحسن أعمال الأستاذ باكتبر ؛ ولكنها من الجهة الأخرى تمد أكبر عمل أدبي تصدى لقضية فلسطين منذ نشأتها إلى اليوم ... إنها تقرير حي عن هذه المأساة ، لا يسرد القضية سرد

التقارير ، بل يمرضها عرضاً حياً على المسرح ، فيكشف عن حقيقة مطامع الصهيونيين في هذه البلاد المقدسة ، وعن وسائلهم الخبيثة والجهنمية في تحقيق هذه المطامع ، وعن نواحي الضعف التي يستغلونها في جسم الأمة العربية أفراداً وشعباً ، وعن مدى

مشاركة السياسة البريطانية في هذه الوسائل ، وهي مشاركة كانت كلية سافرة في وقت من الأوقات ، وما تزال إلى اليوم تعمل ، ولكن في حذر ومن وراء ستار ؛ لأن القوانين والإجراءات المالية والنظامية التي سنّها لا تزال باقية تحدم القضية الصهيونية أجل الخدمات ، ونهي لها امتلاك الأراضي ، بعد أن تضيق الخناق على الاقتصاد العربي ، وتجمعه مضطراً لأن يمد يده إلى الاقتصاد الصهيوني ، أو إلى الشرك الصهيوني بتعبير أدق !

ولا تخلو المسرحية - بعد هذا - من عرض لوحات حية من الشاعر والأحاديث والمواطن الإنسانية ، والفراش البشرية تقصارع وتتراحم ، وإن كان المؤلف - على عادته دائماً - يغلب عواطف الخير والطهر ، ويمكن للأريحية والنبالة ... وذلك ننسح نفسه الطيبة على أبطاله وقصصه

وهو إذ يصور الوسائل الخبيثة العجيبة التي تلجأ إليها الصهيونية لسلب أموال العرب وشبابهم !! ويستعرض المكائد والدسائس المحبوكّة التي تستخدمها ، لا يكون الأمر مجرد حوادث ودسائس تستعرض ؛ ولكنه يتعمق صميم النفس اليهودية ، فيبرزها « نموذجاً بشرياً » واضح السمات متميز الملامح . وهذه المواضع في المسرحية هي أجودها من الناحية الفنية . ولو أن المسرحية كلها في مستوى هذه المواضع لارتفعت إلى مستوى شكسبير ، في رواية « تاجر البندقية » . فطبيعة النفاذ إلى صميم الشخصية الإنسانية تكاد تتساوى في هذه المواضع المدودة !

وأخيراً يهتدى المؤلف إلى الحل الحاسم الذي اهتمت إليه الجامعة العربية أخيراً ... يهتدى إلى سلاح المقاطعة الحاسمة الباتة ، التي تخنق الصهيونية في فلسطين خنقاً . وقد ذهب المؤلف إلى أبعد الحدود ، ففرض تحلل العرب عن فلسطين كلها ، وضرب نفاق من الحصر الاقتصادي عليها . فإلّا لبثت الصهيونية أن اختنقت فجاءت تطلب الصفح والغفرة ، وتتخلى عن مطامعها في الوطن القوي ليرفع العرب عنها هذا الخناق الميت .

* * *

ولست أشك لحظة في أن هذه المسرحية تقدم لقضية فلسطين أعظم خدمة في طوق عمل أدبي واحد أن يقدمها ، بل في طوق عمل سياسي ضخم أن ينهض بها ؛ ذلك أنها لا تدع « قضية

وحقيقة العوامل التي تتسارع فيها ، بما لم يكشفه لي كل ما وصل إلى يدي عنها في خلال خمسة عشر عاما أو تزيد .

ولكنني اختلف مع الأستاذ « با كثير » في أمر واحد . ذلك أنه يبدو في سياق الرواية وفي ختامها أنه واثق بأن هناك شيئا اسمه « الضمير البريطاني » أو « الضمير الغربي » على وجه العموم . يبدو ذلك في فصل « المحاكاة » الذي عقده في نهاية المسرحية !

وأنا أخشى هذه الثقة على قضية فلسطين ، كما أخشاها على جميع قضايا البلاد العربية .

ليس للسياسة البريطانية ضمير . وليس للعالم الغربي شرف . هذه هي العقيدة التي أعتقد أن من واجب كل كاتب وكل سياسي في هذا الشرق العربي أن يمكن لها في ضمير الأمانة العربية بل في ضمير الشرق الذي ما نكسب في تاريخه كله بمثل ما نكسبته الثقة في الضمير البريطاني ، وفي الشرف الغربي ! ولن ينال الشرق العربي — أو الشرق عامة — شيئا من حقه ، ولن يعرف الطريق الصحيح والوسائل المجدبة لنيل هذا الحق ، قبل أن ييأس اليأس الكامل من هذا الضمير البريطاني ، ومن هذا الشرف الغربي . وقبل أن يعتمد على نفسه اعتمادا كاملا في الصراع مع ذلك الوحش الأوربي — والأمريكي أيضا — ذلك الوحش الناعم الملس ، واللبد على بعد مليمتر من هذا الأديم الرقيق !

وإذا كان الشرق العربي لا يزال مبتلى إلى اليوم بمجاعة من الساسة المخدوعين في حقيقة هذا الضمير الغربي عامة ، فإن من واجب حملة القلم أن يكون لهم شأن غير شأن الساسة ، وإلا كانوا غير جديرين بالهبة الإلهية اللدنية التي منحتها لإياهم السماء .

سير قطب

أنا سرادى حسن صالح من كفر ديمرة القديم مركز

طلخا فقد ختمى ولم أكن مدينة لأحد وجددت بدلا منه

فلسطين « جملة رنانة ترد في الخطب الحامسية ، ثم تنقضى مناسبتها فتبرد وتتلأشى ... إنما تحيلها حقائق ووقائع حية ، وتردها أمورا عملية محسوسة ، في الوقت الذي تثير فيه الأريحية الإنسانية ، وتوقظ فيه النخوة العربية ، وتكشف عن الوسائل والدخائل في الصراع بين العرب والصهيونية ، وتوازن بين القوى الحقيقية التي يملكها الفريقان في الميدان ... تكشف ذلك كله كما لم يكشف من قبل أبدا .

وأنا أحد الذين كانوا يزعمون لأنفسهم أنهم ممن يهتمون بقضية فلسطين ويتبعون خطواتها ، ويهتفون بها هتاف المتحمسين لها ... وقد تضمن ديواني الأول منذ أكثر من عشر سنوات تحية لأبطال فلسطين جاء فيها :

عهد على الأيام ألا نهزموا فالنصر يثبت حيث يهراق الدم
في حيث تعبط الدماء فأيقنوا أن سوف تحيوا بالدماء وتعظموا
تبعون الاستقلال ؟ تلك طريقه ولقد أخذتم بالطريق ، فيممو
وهو الجهاد حية جسامه ما إن تخاف من الردى أو تحجم
إن الخلود — لمن يطيق ميسر فليمض طلاب الخلود ويقدموا
وطن يقسم للذخيل هدية فعلام يحجم بعد هذا محجم ؟
الشرق . بالشرق ! تلك دماؤه والغرب . بالغرب ! يفره الدم
الشرق . ويح الشرق ! كيف تقحموا

حرمانه الكبرى وكيف تهجموا
غزتهم سنة الكرى فتوهموا بالذكاء ! فكيف قد غرهموا
سنة ومرات والنيام تيقظوا فليعلموا من نحن أو لا يعلموا !

أبطال الاستقلال . تلك تحية من مصر يبعثها فؤاد مقعم
إخواننا في الحال والمقبي مما إخواننا فيما يلد ويؤلم
مصر الفتاة ولن تزال فتية تهفو إليكم بالقلوب وتعظم
في كل مطلع وكل ثنية نار من الشرق الفتى ستضرم
أنا الذي زعمت لنفسى يوم نظمت هذه القصيدة ، وأيام تتبع
قضية فلسطين في مراحلها المختلفة أنني ممن يعرفون هذه القضية .
أشهد أن رواية « شيلوك الجديد » قد أطلمتني على أنني كنت
وأما فيما زعمت ، مناليا في حقيقة اهتامي بهذه القضية المقدسة ،
فلقد كشف لي الأستاذ « با كثير » عن حقيقة وضع القضية ،